مكانة اللغة العربية الفصيحة بين اللغات الحيّة في عصرنا

د. احميدة العوني، أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية
مخبر اللغة والأدب والترجمة، الكلية متعددة التخصصات بتازة
جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، المملكة المغربية
ahmida.elaouni@usmba.ac.ma
Dr.Ahmida Elaouni, Associate Professor, Department of Arabic Language
Polydisciplinary College of Taza
Sidi Mohamed Ben Abdellah University, Kingdom of Morocco

ملخص

حاولت هذه الدراسة أن تبيّن مكانة اللغة العربية الفصيحة ضمن اللغات الحية في العالم المعاصر، وانطلقت من مفهوم اللغة الحية في اللسانيات الحديثة لتبين وضعية العربية الفصيحة؛ فتبين أنّ أهم معيار للحكم على اللغة بأنها حية أو ميتة هو تداولها شفويا في شؤون الحياة كلها، واتضح أن هذا المعيار غير كاف للحكم على لغة ما بالموت أو الحياة. ومن أهم نتائج هذا البحث أنّ العربية الفصيحة ليست حيّة في التواصل الشفوي اليومي عكس اللغات الحية في العالم، لكنها حيّة في الكتابة والقراءة وبعض وسائل الإعلام وفي التعليم والتعلم. كما توصّل البحث إلى أنّ للعربية مكانة مهمة ضمن لغات العالم، حيث تحتلّ مراتب حسنة في التصنيف العالمي للغات بناء على معايير مختلفة، وتبيّن في البحث أنّ للغة العربية الفصيحة عناصر قوة كثيرة تؤهلها لأن تكون لغة حية قوية ذات مكانة مهمة في العالم كله في الحاضر والمستقبل.

الكلمات المفاتيح:

اللغة الحية، التداول، الفصيحة، النهوض، العالم.

Summary:

This study attempts to clarify the position of fluent Arabic within the living languages of the contemporary world, and starts from the concept of the living language in modern linguistics to show the status of fluent Arabic. So it has become clear that the most important criterion for judging a language as being alive or dead is its oral circulation in all the affairs of life, and it has also become

clear that this criterion is not sufficient to judge a language by death or life. Among the most important results of this research is that fluent Arabic is not alive in everyday oral communication, unlike living languages in the world, but it is alive in writing, reading, some media, and in teaching and learning. The research also has found that Arabic has an important place within the world's languages, as it ranks well in the international classification of languages based on various criteria.

Key words:

Living language, standard of circulation, eloquent, advancement, world

مقدمة

يصنّف اللسانيون اللغات تصنيفات مختلفة، منها اللغة الحية واللغة الميتة. وفي هذه التصنيفات تحديد لمكانة اللغات من حيث القوة والضعف. واهتمّت اللسانيات الحديثة باللغة الشفوية أو اللغة الأم، ذلك بأنّ الأصل في لغة التواصل أن تكون شفوية بحيث يستعملها المجتمع في كل مجالات الحياة، أما إذا كانت اللغة غير متداولة على الألسنة في الحياة اليومية فهي لغة ميتة أو كالميتة، وبناء على معيار التداول اليومي للغة لا يتردد بعض الباحثين في اعتبار العربية الفصيحة لغة ميتة، لأنها لا تحيا في ألسنة أهلها في الحياة اليومية. فما مكانة العربية الفصيحة ضمن ما يُسَمَّى باللغات الحية؟

سينطلق البحث من هذه الإشكالية لبيان مكانة اللغة العربية مقارنة ببعض اللغات الحية في العالم اليوم، وسيفحص البحث معايير تصنيف اللغات حيةً أو ميّتَةً، ويفترض أنّ اللغة العربية الفصيحة حية بعض الحياة، حيث سيتتبع البحث مجالات حياة اللغة العربية الفصيحة ومظاهر حيويتها وقوتها قصدَ تكوين صورة واضحة عن مكانة اللغة العربية ضمن هذه اللغات الحية في العالم، ليكون ذلك مدخلا للنهوض بها ونشرها في العالم.

1. معايير تصنيف اللغات حيةً أو ميّتَةً

يصنف اللسانيون اللغات تصنيفات مختلفة، منها اللغة الحية واللغة المهددة بالانقراض واللغة المحتضرة واللغة الميتة [1] واللغة المحكية (الشفوية) واللغة الأم واللغة الأولى واللغة الثانية...وفي هذه التصنيفات تحديد ضمنيّ لمكانة اللغات من حيث القوة والضعف ومن حيث أهميتها. فهل عند اللسانيين

[1] Baba Zanna Isa (Oct. 2014)," Language Death and Endangered Languages", IOSR Journal Of Humanities And Social Science (IOSR-JHSS), Volume 19, Issue 10, PP 46-48

معايير موضوعية لهذا التصنيف؟ وفي أي خانة يمكن أن توضع العربية الفصحى؛ في خانة اللغات الحية أو اللغات المهددة بالانقراض أو اللغات الميتة؟

1.1. معيار التداول الشفوي اليومي

اهتمت اللسانيات الحديثة بما يسمى اللغة الطبيعية[2] أو اللغة الشفوية أو اللغة الأم، ذلك بأنّ الأصل في اللغة أن تكون شفوية محكية حية في حياة المجتمع في كل مناحي الحياة، لأنّ اللغة أصوات قبل أن تكون حروفا مكتوبة، ولأن الأصل في التواصل اللغوي أن يكون شفويا لا مكتوبا...وبناء على معيار التداول الشفوي للغة صنفوا اللغات إلى لغات حية ولغات ميتة أو "أقل حياة"، فكلما كانت اللغة شفوية يتحدثها أهلها حديثا طبعيا دون تعلم في المدرسة فهي لغة حيّة، أما إذا كانت اللغة غير ذلك فهي لغة ميتة أو كالميتة، هكذا فاللغة الإنجليزية والصينية والعاميات العربية والفرنسية والاسبانية والروسية مثلا لغات حية، لأنها تتداول عند أهلها تداولا طبعيا، حيث هي لغة التواصل في الحياة في مجالاتها المختلفة، في البيت والشارع والمدرسة والإدارة والاقتصاد...وبناء على هذه المعيار لا يتردّد بعض الباحثين في اعتبار اللغة العربية الفصيحة لغة ميتة أو كالميتة، لأنها لا تحيا على ألسنة أهلها في الحياة اليومية ومجالاتها المختلفة، ذلك بأنها لغة الكتابة، بها تنشر الكتب والمجلات وكثير من الجرائد، ومجال تداولها شفويا محدود في بعض المؤسسات التعليمية والثقافية وفي بعض وسائل الإعلام، والفصحى ليست اللغةَ الأمَ لأي جماعة لغوية اليوم، واللغة الأم في البلدان العربية هي العاميات العربية واللهجات الأمازيغية.

وقد حدّدت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة ستة معايير لقياس حيوية اللغات وقابليتها للاندثار، ومعظم هذه المعايير تتمحور حول التداول الشفوي للغة والتواصل بها في كل مناحي الحياة، فـ"ثمة ستة عوامل رئيسة لتقييم حيوية اللغة، ولا يمكن استخدام أيّ منها على حدة، إنَّ اللغة المصنّفة في مرتبة عالية استنادا إلى معيار واحد قد تستحق انتباها مباشرا وطارئا على حساب أخرى. إنّ العوامل الستة المحدّدة هنا هي التالية:

1- انتقال اللغة عبر الأجيال؛

2- العدد المُطلق للناطقين بها؛

3- نسبة الناطقين من إجمالي عدد السكان؛

4- التغييرات في مجالات استخدام اللغة ؛

5- مواجهة مجالات ووسائل إعلام جديدة ؛

[2]() عبد العزيز حليلي: اللسانيات العامة واللسانيات العربية.

6- مواد لتدريس اللغة ومحو الأمية"[3].

فانتقال اللغة عبر الأجيال يَسْهُلُ إذا كانت اللغةُ المتداولةُ شفويةً تكتسب طبعيا من خلال سماعها من البيئة اللغوية المعيشة، واللغة الشفوية المتداولة تخضع للتطور آليا لتواكب تغيرات العصر ومستجداته، ثم إنّها هي لغة التواصل في المجتمع، وهي لغة وسائل الإعلام المختلفة، فليس من المعقول أن يُخاطَبَ المجتمعُ بلغة لا يتحدّثها ولا يتواصل بها، وهذا الحال ينطبق على كثير من اللغات الحية في العالم، مثل الإنجليزية والفرنسية والاسبانية والصينية، فهذه اللغات لغات شفوية مكتسبة من البيئة اللغوية، وهي لغات وسائل الإعلام في مجتمعها. لكن الأمر يختلف كثيرا في العربية الفصحى، فهي ليست لغة مكتسبة طبعيا، بل هي لغة متعلَّمَةٌ في المدارس والمعاهد... وهي لغة الكتابة في الغالب، بالإضافة إلى أنَّ العاميات العربية هي لغة كثير من وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، ولهذا فمجال حياة اللغة العربية الفصيحة محدود في بعض المؤسسات التعليمية وبعض وسائل الإعلام، ولكنها لغة الكتابة في ميادين البحث العلمي والأدبي.

وحينما يتحدث اللسانيون عن اللغة الميتة وعن أسباب موتها فهم يعنون دائما اللغة الشفوية المحكية، يقول دافيد كريسطال: "تموت اللغة عندما لا يتكلمها أحد"[4]، فقد نص بـ"لا يتكلمها أحد" على أن اللغة المعنية هي اللغة الشفوية المتحدث بها. وقد صرّح في مكان آخر على أنّ اللغة يمكن أن يبقى لها أثر عن طريق تسجيلها كتابة، أو صوتا أو صوتا وصورة (فيديو)، لكن لا يمكن اعتبارها حية إلا إذا كان لها ناطقون يتحدّثونها بطلاقة، قال: "يقال إنّ اللغة ماتت عندما لا يتكلّمها أحد بعد الآن. ويمكن أن يستمر وجودها عبر تسجيلها، بالطبع – تقليديًا بالكتابة ، وحديثا بالصوت أو الفيديو... ولكن ما لم يكن لها متحدثون بطلاقة لا يمكن للمرء أن يتحدث عنها بوصفها "لغة حية""[5]

ومن أهم أسباب موت اللغات عند دافيد كريسطال موت متكلميها، وكل ما يهدد السلامة الجسدية لمتكلمي اللغة يعد سببا من أسباب موت اللغات، سواء تعلق الأمر بكوارث طبيعية أم بحروب، ذلك بأن "العديد من اللغات أصبحت مهددة، أو محتضرة، أو انقرضت، نتيجة لعوامل كان لها تأثير كبير على السلامة الجسدية للمتحدثين"[6].

وهناك عوامل أخرى مهمة تؤدي إلى موت اللغة منها:

- " تحول اللغة - عندما تتحول اللغة إلى لغة أقوى بشكل متكرر؛

([3]) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، فريق خبراء اليونسكو المعني الخاص باللغات المهددة بالاندثار: حيوية اللغات وتعرّضها للاندثار، ص. 8.

[4] DAVID CRYSTAL (2000), Language death, p 1.
[5] DAVID CRYSTAL (2000), Ibid p 11.
[6] DAVID CRYSTAL (2000), Ibid p 70.

- الكوارث الطبيعية مثل الثوران البركاني والأعاصير والتسونامي والزلازل والأمراض؛
- الكوارث البشرية مثل الغزو والإبادة الجماعية والحرب؛
- أسباب سياسية كالاستعمار والتعليم والهجرة"[7]

ويمكن القول إن موت متكلمي اللغات يكون حقيقيا كما جاء في السبب الأول، ويكون مجازيا أيضا، فقد لا يموت أهل لغة ما موتا جسديا ومع ذلك تموت لغتهم، وذلك حين يتخلوا عن لغتهم طوعا أو كرها، وهذا ما عبر عنه دافيد كريسطال في حديثه عن السبب الثاني لموت اللغات، حيث سماه "العوامل التي تغير ثقافة المجتمع"، فـ" قد يعيش مجتمع ، ولكن قد تستمر لغته في الموت. فالمجموعة الثانية من العوامل التي تسبب فقدان اللغة ليس لها علاقة مباشرة بالسلامة الجسدية للناس، فأعضاء المجتمع يمكن أن تبقى حية، وفي صحة جيدة، وغالبا ما يستمرون في إحياء تقاليد منطقتهم، لكن لغتهم مع ذلك تتدهور، وتختفي في النهاية، لتحل محلها بعض اللغات الأخرى"[8]

2.1 .معيار طريق أخذ اللغة: الاكتساب أو التعلم

يبدو أنّ اللسانيين لم يضعوا مقاييس كافية واضحة صريحة للتمييز بين اللغة الميتة واللغة الحية، لكن إذا تأملنا المصطلحات الأخرى المعبّرة عن اللغة الحيّة مثل اللغة المحكية أو الشفوية واللغة الأم واللغة الطبعية واللغة الأولى... يمكن أن نستنتج أنّ اللغة الحية هي اللغة الأم التي يتحدّثها الإنسان ويكتسبها طبعيا دون أن يتعلّمها في المدرسة، وفي هذا السياق هناك من يميّز بين مصطلح الاكتساب ومصطلح التعلم، فالأول خاصّ باللغة الأم، فهي تكتسب طبعيّا من خلال سماعها في الوسط الاجتماعي الذي ينشأ فيه الطفل؛ من الأم والأب والإخوة و من البيئة اللغوية للطفل عموما...أما التعلّم فهو خاص باللغة التي تتعلم في المدرسة ولا تكتسب طبعيا، ويطلق عليها عادة اللغة الأجنبية، وإذا قسنا اللغة العربية بمقياس الاكتساب الطبعي والتحدث والاستعمال في الحياة اليومية في كل المجالات الخاصة والعامة نحكم عليها أنها ليست لغة حية، لأنها ليست اللغة الأم التي يتعلمها الطفل من أمه وأبيه وإخوته وعشيرته التي تؤويه...وهي ليست لغة محكية لأننا لا نتحدث بها في الحياة اليومية، إذن فاللغة العربية الفصيحة بهذه المقاييس لغة غير حية، إنها ميتة.

"تموت اللغة عندما لا يتكلمها أحد"[9]، لكن كيف يمكن للغة "ميّتة" أن تسعفني على التواصل فيما أكتب الآن مع جم غفير من القراء في العالم العربي على الأقل؟ وكيف يمكن أن نحكم بالموت على لغة تصل القارئ بما كتبه أو قاله الإنسان العربي في الجاهلية وفي صدر الإسلام وفي العصر الأموي

---

[7] Baba Zanna Isa, HajjaKaru Ahmed and YaganaGrema (Oct. 2014), Language Death and Endangered Languages, IOSR Journal Of Humanities And Social Science (IOSR-JHSS), Volume 19, Issue 10, P 47.

[8] DAVID CRYSTAL (2000), Language death, p 77.

[9] DAVID CRYSTAL (2000), Ibid p 1.

والعباسي... وفي عصرنا اليوم مع أنها لغة غير محكية؟ فكيف يستقيم ألاَّ نعتبر لغة الكتابة لغة حية وإن لم تكن لغة الحديث اليومي في الحياة؟

وإذا كان معيار الاكتساب الطبيعي والتحدث كافيا للحكم على اللغة بالحياة أو الموت، فهل العامية العربية أو الأمازيغية مثلا لغات أكثر حياة من الفصحى، لأنها لغات تكتسب طبعيا ويتحدث بها يوميا؟ هل معيار التداول اليومي والاكتساب الطبيعي معياران موضوعيان لتصنيف اللغات إلى ميتة وحية؟ لا سيما أن في وصف لغة بالحياة أو الموت إشارة إلى مكانتها وأهميتها.

إنّ معيار الاكتساب الطَبَعِيّ والتحدث والاستعمال اليومي للغة ليست مقاييس موضوعية كافية للحكم على اللغة بالحياة أو الموت، فلغة الكتابة حية وإن لم تكون اللغةَ الأمَّ ولا لغة الحديث اليومي، فهي تحقق وظيفة التواصل بين قرائها ومتكلّميها وإن كان ذلك محصورا في فئة معينة وفي أماكن خاصة، وقد تكون لغةٌ اللغةَ الأم أي لغة التحدث والاستعمال اليومي ومع ذلك تكون لغة ميتة أو كالميتة، كأن يكون استعمالها محصورا في شؤون الحياة اليومية العادية، فلا حضور لها في ميادين العلم ومؤسساته ولا حضور لها في الإدارة والاقتصاد والتعليم والتعلم.

هكذا يظهر أنّ وضع العربية الفصيحة وضع خاص مقارنة مع اللغات الحية في العالم، حيث إنّ العربية الفصيحة ليست لغة الحديث اليومي ولكنها لغة الكتابة في ميادين الفكر والعلم والأدب ولغة التواصل الشفوي في بعض وسائل الإعلام والملتقيات الثقافية وفي التعليم...على خلاف العاميات العربية، فهي وإن كانت حية من حيث كونها اللغة الأم التي يتواصل بها المجتمع، فهي ميتة أو كالميتة لأنها ليست لغة الكتابة.

3.1.كميةُ المتكلِّمين

اللغةُ يُحيِيهَا الناطقون بها، فكلّما كَثُرَ عددهم كانت في مأمن من الموت والانقراض، إذ تموت اللغة إذا لم يبق أحد يتكلّمها، واللسانيون يرّكزون على "النطق" أو "الحديث" في اللغة، حيث إنّ اللغة شفوية في طبيعتها وفي أصلها، وتحدُّثها يجعلها حيَّةً، فإذا كانت مكتوبة فقط فإنه تكون أقل حياة وعرضة للاندثار، وكلّما قلّ عدد متكلمي لغة ما أصبحت عرضة للموت والانقراض، حيث " تواجه مجموعة لغوية صغيرة الخطر بصورة دائمة. ويكون عدد السكان الصغير معرّضا لهلاك القسم الأعظم منه (من جرّاء المرض أو الحرب أو الكوارث الطبيعية على سبيل المثال) أكثر من عدد السكان الأكبر ويمكّن أيضاً مجموعة لغوية صغيرة أن تندمج بسهولة مع مجموعة محيطة، فتتخلّى عن لغتها وثقافتها"[10].

([10]) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، فريق خبراء اليونسكو المعني الخاص باللغات المهددة بالاندثار، حيوية اللغات وتعرّضها للاندثار، ص. 9.

وبلغ متكلمو العربية مائتين وخمسة وتسعين(295) مليون متكلم سنة 2015[11]، ثم ارتفع إلى 315 مليون متكلم[12] محتلة بذلك اللغة العربية الرتبة الرابعة عالميا من حيث عدد الناطقين، بعد الصينية بواحد فاصلة ثلاثة (1,3) بليون متكلم، والإسبانية بأربعة مائة وستين (460) مليون متكلم، والإنجليزية بثلاثة مائة وتسعة وسبعون مليون (379) متكلم، والهندية بثلاثة مائة وواحد وأربعين (341) مليون. لكن هذه الإحصاءات ليست خاصة بالعربية الفصيحة، فهذه الإحصاءات لا تميز بين العربية الفصيحة وعامياتها، ولكن يمكن القول إن نسبة لا يستهان بها من هؤلاء يتواصلون بالعربية الفصيحة قراءة وكتابة، إذ العامية فرع للعربية الفصيحة، وكلما ارتفعت نسبة التعلم لدى متكلمي العامية العربية ارتفعت نسبة المتواصلين بالفصيحة.

4.1. معايير غير لغوية (الاقتصاد، السياسة، الإعلام)

وتلك المعايير السابقة رغم أهميتها في منظور اللسانيات فهي غير كافية للمفاضلة بين اللغات من حيث الحيوية والأهمية، فهناك معايير أخرى مهمة تراعى ضمنيا أو صراحة في ترتيب اللغات من حيث الأهمية والحيوية، منها الجانب الاقتصادي والثقافي والسياسي والإعلامي، على المستوى الوطني وعلى المستوى الدولي، ففي تقرير المملكة المتحدة حول أهم اللغات التي تحتاجها في المستقبل ذُكِرَتْ عشرةُ معايير مرتبةً، وهي:

1. "تجارة التصدير في المملكة المتحدة في الوقت الراهن.
2. الاحتياجات اللغوية للتجارة في المملكة المتحدة.
3. الأولويات التجارية المستقبلية للحكومة.
4. الأسواق الناشئة ذات النمو العالي.
5. الأولويات الدبلوماسية والأمنية.
6. الاهتمامات اللغوية للعامة.
7. السياحة الخارجية والداخلية.
8. استراتيجية أولويات الحكومة في التعليم الدولي.
9. مستويات إتقان اللغة الإنجليزية في الدول الأخرى.
10. انتشار لغات مختلف على الإنترنت"[13] .

---

[11]Kai L. Chan (May 2016) Power Language Index, PhD. P 3.

([12])James Lane (September 6, 2019), The 10 Most Spoken Languages In The World, Babbel Magazine.

([13])British Council, Languages for the Future, Which languages the UK needs most and why, (This report was commissioned by the and prepared by Teresa Tinsley and Kathryn Board of Alcantara Communications), p 10

خلاصة القول بخصوص معايير حياة اللغات وموتها، هي أن اللسانيات تعتمد معيارا واحدا هو معيار التحدث باللغة شفويا والتواصل بها في الحياة اليومية، فاللغة الحية هي اللغة الأم التي تكتسب طبعيا من البيئة اللغوية المستعملة في التواصل الشفوي اليومي، أما اللغة الميتة فهي اللغة التي لم يعد يتحدثها أحد ولم تعد تستعمل في التواصل الشفوي اليومي، وبهذا المعيار فالعاميات العربية لغات حية، أما العربية الفصيحة فمجال حياتها حسب مفهوم اللغة الحية، ضيق، لأنها ليست لغة الحديث اليومي، ولا تكون لغة الحديث إلا في بعض المؤسسات التعليمية والثقافية وفي بعض وسائل الإعلام.

وإذا كان صف اللغة بأنها حية ليس فيه تفضيل لغة على أخرى في اللسانيات، فإن هذا لا يعني أنّ اللغات متساوية من حيث القيمة والأهمية في الحقيقة، وهنا تقاس اللغات بمقاييس أخرى غير لغوية ترتبط بمتكلميها مجتمعا ودولة، مثل مقياس الاقتصاد والسياسة والثقافة والدين، فقيمة اللغة بما يرتبط بها من اقتصاد وسياسة وثقافة...ولهذا يحسن الحديث عن عناصر قوة اللغات وضعفها.

2. مظاهر قوة اللغة العربية الفصيحة

إنّ النظرة الموضوعية لواقع اللغة العربية الفصيحة تقضي بأن نقرّ أنها ليست حية على ألسنة أهلها في التداول اليومي في أي بلد وفي أي جماعة لغوية في عصرنا، ومجال تداولها شفويا محصور في بعض المؤسسات التعليمية بمختلف مستوياتها، وفي بعض الندوات والمؤتمرات وفي بعض وسائل الإعلام المسموعة، وقد مرّ أنّ العاميات العربية والأمازيغيات هي لغات التواصل الشفوي اليومي، لكن هذا لا يعني أن العربية ضعيفة لكونها ليست لغة حية في مجال التواصل الشفوي اليومي، بل إنّ لها عناصر كثيرة تجعلها لغة قوية تنافس اللغات الحية في العالم، من ذلك أنها لغة آخر رسالة سماوية عالمية، وأنها لغة حاملة لإرث حضاري إنساني قل نظيره في العالم، ومنها قدرتها على مواكبة مستجدات العصر لما تتميز بها من خصائص ذاتية لتوليد ألفاظ جديدة...

1.2. العربية الفصيحة لغة آخر رسالة سماوية

نزول القرآن الكريم بالعربية الفصيحة أهمّ عناصر قوة العربية، فارتباط العربية الفصيحة بآخر رسالة سماوية عالمية أكسبها قوة، ذلك بأن فهم شريعة الإسلام يقتضي حتما معرفة العربية، قال الشاطبي: "وإنّما البحث المقصود هنا أنّ القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة؛ لأن الله تعالى يقول: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا)[14]، وقال: (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ)[15]... إلى غير ذلك

([14]) يوسف/2.

([15]) الشعراء/195.

مما يدل على أنه عربيّ وبلسان العرب، لا أنه أعجميّ ولا بلسان العجم، فمن أراد تفهمه، فمن جهة لسان العرب يُفْهَمُ، ولا سبيل إلى تطلّب فهمه من غير هذه الجهة"[16].

ولهذا ظل الناس -قديما وحديثا، عربا وغيرَ عرب، مسلمين وغير مسلمين- يهتمون بالعربية باعتبارها الجسر الضروري للعبور إلى الإسلام فهما ودراسةً ونقدا أيضا، فمن يهتمّ بالإسلام ليس بالضرورة مؤمنا به مدافعا عنه، بل قد يكون العكس صحيحا، وفي تلك الحالتين لا بد أن تكون العربية من وسائل الخوض في الإسلام.

و"الإسلام سيبقى عربيّا لأن أحكامه إنّما تُسْتَخْلَصُ أولا من القرآن، كما هو في أصله العربي، وليس من خلال أيّ ترجمة له، لأنّ أيَّةَ ترجمة للقرآن إلى أيّة لغة كيفما كانت لا تستطيع الوفاء بمضامين عباراته نظرا لأسلوبه البيانيّ الرفيع الذي يُجَسِّمُ أعلى مظاهر الخصوصية في اللغة العربية"[17].

ولعل بقاء اللغة العربية الفصيحة حيّةً في مجال الكتابة والقراءة على الأقل مردّه إلى ارتباطها بآخر رسالة سماوية عالمية. وهذا الجانب المشرق في العربية يَعُدُّه بعض الناس مظهرا من مظاهر التخلف والجمود، فمنهم من قال: "إنه من المستحيل جدا أن يصبح العرب أسياد العالم طالما أنهم يتحدثون باللغة العربية، فاللغة مصدر من مصادر تخلفنا لأنها تعلمنا على كراهية الآخر فمعظم آيات القرآن تحث على القتل وعلى سب الآخرين وشتمهم ويجب أن تتغير هذه اللغة فالذين نسبهم يرسلون لنا بالمساعدات بل ويخترعون لنا الموبايلات"[18]، ثم قال: "الحفاظ على اللغة معناه الحفاظ على التخلف وعدم التطوير فيجب أن تتغير اللغة العربية لكي تتغير الشرائع والعقائد والتي لا تتناسبُ اليوم مع أبسط حقٍ من حقوق الإنسان، فكل التعاليم الإسلامية ضد حقوق الإنسان وضد المساواة وضد الرفاهية، ويجب أن لا نستحي من أن نقول بأن اللغة العربية مصدر كبير من مصادر التخلف"[19] .

والذي يُهِمُّنا هنا هو هذا الارتباط بين العربية والإسلام، وهذا ما يحث على تعلم العربية وقراءة ما يرتبط بها من علوم القرآن والحديث خاصة، وهذا في جميع الأحوال يجعل العربية قوية حية في فكر هؤلاء سواء أكانوا مع الإسلام أم ضده.

2.2. العربية الفصيحة لغة آخر رسالة سماوية عالمية

وما يجعل العربية قوية هو أنّ الإسلام رسالة إلى العالمين كافة، فهو ليس منزلا إلى قوم خاص أو عرق معين، كما هو الشأن في الرسالات السابقة؛ بل مرسل إلى الإنسان في العالم كله، عربيّه وعجمه ،

([16]) الشاطبي: الموافقات، المجلد2. ص.102.

([17]) محمد عابد الجابري: مسألة الهوية العروبة والإسلام ...والغرب، ص23.

([18]) جهاد علاونه: اللغة الميتة الحوار المتمدن، العدد: 3060، - 11 / 7 / 2010 .

([19]) جهاد علاونه: المرجع نفسه.

قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)[20]، وقد انتشر القرآن الكريم في بقاع العالم كله، وأقبل الناس فرادى ومؤسسات على قراءته وحفظه وتعلم علومه، وطريق ذلك هو اللسان العربي كما بيّن الشاطبي، وابن تيمية[21] والجابري.

"واليوم يدرَّس القرآن، فيما عدا جزيرة العرب، في مصر وسورية وتركية وآسية الصغرى وفارس وقسمٍ مهم من روسية وإفريقية والصين والهند، وتناول القرآن مدغشقر وإفريقية الجنوبية، وعُرف في جزر الملايو، وعلمه أهل جاوة وسومطرة، وتقدَّم إلى غينية الجديدة، ودخل أمريكة مع زنوج إفريقية"[22].

"ولقد قيل كثيرا إنّ اللغة العربية بقيت لأنها لغة القرآن. وهو قول صحيح لا ريب فيه، ولكن القرآن الكريم إنما أبقى اللغة لأن الإسلام دين الإنسانية قاطبة وليس بالدين المقصور على شعب أو قبيل"[23].

وعَدَدُ المسلمين في تزايد مستمر في العالم[24] فقد فاق حسب الإحصاءات الحديثة مليار مسلم ونصف المليار، وكثرة عدد المسلمين عامل مهم يُسهم في انتشار اللغة وإحيائها.

3.2. العربية الفصيحة لغة حضارة إنسانية

من عناصر قوة العربية الفصيحة حملُها لحضارة إنسانية لا نظير لها في التاريخ، فقد سجلت اللغة العربية الفصيحة ما جاد به العقل العربي وغير العربي مدة تزيد عن خمسة عشر قرنا، فبالعربية الفصيحة حُفِظَ تراث ضخم في مختلف العلوم والفنون والآداب[25]، ولخّص فؤاد سزكين تراث العربية الضخم في كتاب "تاريخ التراث العربي"[26] من عشرة مجلدات، ومن بين العلوم التي ذكرها: علوم القرآن والحديث والتدوين التاريخي والفقه والعقائد والتصوف والشعر والطب والصيدلة وعلم الحيوان والبيطرة والسيمياء والكيمياء والنبات والفلاحة و الرياضيات والفلك واللغة والنحو والجغرافيا والخرائط .

والتراث الشعري في الحضارة العربية غنيّ عن التعريف، فقد سجلت العربية آلاف الدواوين الشعرية عبر مرّ العصور، وهي تمثل قمة الإبداع الشعري الممتع. إنّ هذا التراث الضخم إرث إنسانيّ،

([20]) الأنبياء/106.

([21]) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المجلد 1، ص. 469.

([22]) كوستاف لوبون: حضارة العرب، ص، 640-641.

([23]) عطار، أحمد عبد الغفور ، مقدمة الصّحاح، ص.7.

([24]) إحصاءات غربية: انتشار الإسلام في أوروبا وأميركا رغم حملات التشويه: مجلة الوعي، السنة الثالثة والعشرون، العددان 270-271 ، 2009، ص. 111-112.

([25]) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ص. 14-15-16-17-18.

([26]) فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي.

يستحق أن يُقْرَأَ و يُتَعَلَّمَ، ولا يتأتّى ذلك إلا بالعربية الفصيحة، ومن هنا تَكتسب العربية قوتها. ولذلك رفض طه حسين أن تقطع الصلة بين العربية وحضارتها عن طريق إحلال العامية محلها، قال : "إني من أشد الناس ازورارا عن الذين يفكرون في اللغة العامية على أنها تصلح أداة للفهم والتفاهم، ووسيلة إلى تحقيق الأغراض المختلفة لحياتنا العقلية. قاومت ذلك منذ الصّبا ما وسعتني المقاومة، ولعلي أن أكون قد وفقت في هذه المقاومة الي حد بعيد، وسأقاوم ذلك فيما بقي لي من الحياة ما وسعتني المقاومة، لأني لا أستطيع أن أتصور التفريط -ولو كان يسيرا- في هذا التراث العظيم الذي حفظته لنا اللغة العربية الفصحى، ولأني لم أؤمن قطّ ولن أستطيع أن أؤمن بأنّ للغة العامية من الخصائص والمميزات ما يجعلها خليقة بأن تسمى لغة، وإنما رأيتها وسأراها دائما لهجة من اللهجات قد أدركها الفساد في كثير من أوضاعها وأشكالها، وهي خليقة أن تفنى في اللغة العربية إذا نحن منحناها ما يجب لها من العناية فارتفعنا بالشعب من طريق التعليم والتثقيف، وهبطنا بها هي من طريق التيسير والإصلاح إلى حيث يلتقيان من غير مشقة ولا جهد ولا فساد"[27].

4.2. العربية الفصيحة مرنة تتطور ولا تتغير

"إن اللغة العربية اليوم هي الوحيدة التي حافظت على نفسها منذ 1500عام وهذا إن دل على شيء فإنما يدلُ على أنها لغة غير متطورة ولو أنها كانت متطورة لما حافظت على نفسها"[28]، وهذا حكم صحيح في شقه الأول، حيث إنّ العربية حافظت على نفسها لغةً إِعْرَابِيَّةً اشتقاقيَّةً، لها أصواتها التي لم تتبدل ولها نظام خاص في التركيب والصرف[29] والمعجم، فهي من هذه الناحية ثابتة، لأنّ لها وسائل مختلفة تولّد بها الألفاظ والمعاني وفق نظام صوتي وصرفي ونحوي ومعجمي ثابت، وهذا ما يجعل العربية الفصيحة مَرِنَةً، بحيث تتطور استجابة لتطور العصر، لكن نظامها في الصوت والنحو والصرف والمعجم لا يتغير.

والشق الثاني من حكم جهاد علوانه لا يُصَدِّقُه واقعُ العربية الفصيحة في الماضي والحاضر، ذلك بأنَّ خضوعها لنظام في النحو والصرف والمعجم لا يعني أنها جامدة، بل هي لغة مرنة تتطور وفق نظام معروف في علوم اللغة، فقد استوعبت ما يُسْتَجَدُّ في كل مجالات الفكر والعلوم والآداب...عن طريق توليد ألفاظ جديدة عن طريق الاشتقاق أو التعريب[30] أو الترجمة أو المجاز أو النحت[31]، ولم تقف يوما عاجزة عن التعبير عمّا يُسْتَحْدَثُ؛ فقديما استطاعت أن تُعَرِّبَ علوما غير عربية؛ قال صبحي الصالح: " أمّا العلوم

([27]) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، ص. 182.

([28]) جهاد علاونه: اللغة الميتة، الحوار المتمدن، العدد: 3060، 11 / 7 / 2010.

([29]) سيبويه: الكتاب، ج.4، ص.304.

([30]) محمد حسن عبد العزيز: التعريب في القديم والحديث، ص.89.

([31]) رجاء وحيد الدويدري: المصطلح العلمي في اللغة العربية.

الدخيلة فقد اتّسعت العربية أيضا لترجمتها وتعريب مصطلحاتها. وبلغت حركةُ الترجمة في عصر المأمون أوجها حين عرّبت ألفاظ الطبّ والطبيعة والفلك والرياضيات والفلسفة"[32] .

وفي عصرنا واكبتْ مستحدثاتِ العصر في كل المجالات، في العلوم والسياسة والاقتصاد والآداب والفنون...قال المستشرق الأميركي وليم ورل: "وللغة العربيّة لِينٌ ومُرُونَةٌ يمكِّنانها من التكيُّف وفقاً لمقتضيات هذا العصر. وليس مَنْ يشكُّ في أنه متى سنحت لها الظروف تستطع أن تبلغ درجة من الدقّة والرقي تمكّنها من التعبير عن أسمى الأغراض العلمية. ويجوز إذ ذاك للجامعات الشرقية أن تعلّم العلوم باللغة العربيّة كما تُعلَّم في هولندا والدانمارك مثلاً باللغتين الهولندية والدانماركية، على أنه لا يكون للشرقيين غنى عن تعلُّم الإنكليزية، والفرنسية، والألمانية كما يتعلَّمها الغربيون أنفسهم"[33].

5.2. العربية الفصيحة لغة هوية

من عناصر قوة العربية الفصيحة أنها لغة هوية، ولا نقصد هنا أن العربية الفصيحة هوية الإنسان العربي عِرْقًا فقط، بل نقصد أنّ العربية هوية البلدان التي تعرّبت، وصارت العربية لغة القراءة والكتابة والتعلم فيها زمنا طويلا، وهذا حال كثير من البلدان في ما يسمى اليوم بالوطن العربي، بل إنه يمكن القول إنّ العربية الفصيحة من عناصر هوية المسلم عربيًّا كان أم غيرَ عربي، فالعربية الفصيحة كما مرّ هي السبيلُ الضروري لمعرفة الإسلام، وهي لغةُ الأمَّةِ إن لم تكن اللغةَ الأمَّ، "وإذا كان توحيد العرب في حركة واحدة ودولة واحدة حصل بالإسلام، وإذا صاروا محور الحضارة العربية الإسلامية التي كان وعاؤها الوحيد في فترة التكوين العربية، كان منتظرا أن يكون الإسلام والعربية (فكرا وتراثا) وراء تحديد الهوية، سواء أ كان ذلك بالعودة إلى الإسلام الأول، أو باتخاذ وجهة إصلاحية إسلامية، أو بتأكيد العربية رابطة، أو بربط العربية بالإسلام، والواقع أن التحرك في التاريخ العربي كان في إطار الإسلام والعربية"[34].

وإن لم تكن العربية الفصيحة لغة الحديث اليومي، فقد ظلّت لغة الكتابة والتعلم والتعليم، وتعايشت مع لغات الحديث اليومي في الوطن العربي، سواء تعلق الأمر بالعاميات العربية أم بالأمازيغيات، فظلَّت كلّ لغة تؤدي وظيفتها في تعايش تام لقرون طويلة، فـ" قد تعايشت العربية وسط آلاف اللغات على مدى قرون، وكان لكلّ واحدة وظيفتها ومكانتها، فلم تُهَدِّدْ لُغَةً، ولم تُسَبِّبْ في انقراض لهجة.

([32]) صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، ص. 320.

([33]) فتاوي كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية، نهضة الشرق العربي وموقفه إزاء المدنية الغربية، كتاب الدوحة 30، نشر مع مجلة الدوحة عدد 74، دجنبر 2013، ص.36.

([34]) الدوري، عبد العزيز: أوراق في التاريخ والحضارة، أوراق في التأريخ العربي الإسلامي، ص. 300.

وفي الحالة المغربية خاصة، يجب أن نحافظ على التعايش التاريخي بين العربية والأمازيغية، فلم تكن مسألة التنوع اللغوي في المغرب من عوامل التفرق والتشتت، بل كان ثمة نوعٌ من التوازن العفوي داخل المنظومة الاجتماعية؛ حيث تضافرت اللغتان في نسج التاريخ الوطني"[35].

" وإذًا فنحن لا نتعلم اللغة العربية ولا نعلّمها لإنها لغة الدين فحسب، وإنما نتعلمها ونعلّمها لأنها أوسع من ذلك و أشمل وأعم، ونحن لا نتعلم اللغة العربية ونعلمها لأنها لغة القدماء من العرب والمستعربين، وإنّما نتعلمها ونعلّمها لأنها لغتنا ولأنّها لغة الأجيال المقبلة أيضا أو لأننا نريد أن تظلّ لغة لهذه الأجيال"[36].

6.2. العربية الفصيحة لغة وَحْدَةٍ وتَوْحِيدٍ

من عناصر قوة العربية الفصيحة أنها لغة وحدة وتوحيد، فهي اللغة الرسمية لكل الدول العربية والمتعربة، وبها ظل العرب يتواصلون فيما بينهم منذ نشأة الدولة الإسلامية إلى عصرنا هذا، ومازالت العربية الفصيحة لغة التواصل الثقافي والعلمي بين العرب رغم الحدود الجغرافية والاختلاف السياسي والاقتصادي، ورغم اختلاف اللغة الأم في البلدان العربية...هكذا يبدو أن الوحدة اللغوية ولو في مجالات محدودة يظلّ عنصر قوة لابد من استثماره. "وهل أكون مخطئا إذا قلت إنّ من أهم أسباب فرقة المسلمين وشتاتهم...سوء فهم الإسلام على حقيقته وتخلي المسلمين عن رابطة أساسية كانت بالأمس – بالإضافة إلى الدين- من أهم دواعي تلاحمهم وتماسكهم وتفاهمهم وتآخيهم، وأعني بذلك رابطة اللغة...ألم يكن أهل اللغة العربية إذا أرادوا التعبير عن شتات أو فرقة حَصَلَا بين فريقين قالوا: تفرّقت كلمتهم. أليست إذن وحدة الأفراد والشعوب كامنة في وحدة الكلمة؟ أليست وحدة الكلمة – بالمعنيين الحقيقي والمجازي- هي وحدة اللغة؟"[37].

وما زلنا بخير ما دمت العربية الفصيحة توحّدنا ولو في القراءة والكتابة، فخير أن يفهم كل العرب ما يكتبه المغربي أو المصري أو التونسي أو السعودي... خير من ألا يفهم بعضنا البعض ولو كان ذلك في مجال ما ينشر من كتب ومجلات وما يذاع في وسائل الإعلام بالعربية الفصيحة، " فلنحذر أن نُشَجِّعَ الكتابة باللهجات العامية... ويأتي يوم يحتاج فيه المصري إلى أن يترجم إلى لهجته كتب السوريين واللبنانيين والعراقيين، ويحتاج أهل سورية ولبنان والعراق إلى مثل ما يحتاج إليه المصريون من ترجمة الكتب المصرية إلى لهجاتهم كما يترجم الفرنسيون عن الإيطاليين والإسبانيين، وكما يترجم هؤلاء عن الفرنسيين"[38].

([35]) إلياس بلكا ومحمد حراز: إشكالية الهوية والتعدد اللغوي في المغرب العربي، ص.122.

([36]) طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، ص. 177.

([37]) عبد العلي الودغيري: اللغة والدين والهوية، ص. 64.63.

([38]) صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، ص. 360.

وأقرَّ المستشرق الفرنسي جاك بيرك Jacques Berque (ت 1995) أنّ العربية الفصحى هي أقوى عوامل بقاء الشعوب العربية، كما كانت الفصحى أقوى القُوَى التي قاومت الاستعمار، قال: "إن أقوى القُوَى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية، بل اللغة العربية الكلاسيكية الفصحى بالذات، فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا. إنّ الكلاسيكية العربية هي التي بلورت الأصالة الجزائرية، وقد كانت هذه الكلاسيكية العربية عاملا قويا في بقاء الشعوب العربية"[39].

وتخوّف طه حسين من المصير السيء إذا احتلت العامية مجال العربية الفصيحة ممكن الحدوث، ولذلك أقرّ المسدي أنّ العامية خطر على العربية الفصيحة إذا حلّت محل العربية في مجالات حياتها؛ في التعليم والكتابة والإعلام...ذلك بـ"أنّ اللغات الأجنبية...لم تعد هي العدوّ الأول للغة العربية، وإنّما العدو الذي في مستطاعه أن يُجْهِزَ على العربية فيذهب بريحها هو اللهجات العامية حين تكتسح المجال الحيوي للفصحى؛ ولا سيما حين تغزو قِلاَعَ المؤسسة التعليمية"[40].

3. مكانة اللغة العربية بين اللغات الحية في العالم

1.3. اللغة العربية الفصيحة حيّة في الإعلام والكتابة

1.1.3. على المستوى الوطني والعربي

تحيا اللغة العربية بعض الحياة في حاضرنا؛ في الكتابة والتأليف في مختلف المجالات، وفي الإعلام، وفي التعليم في مستوياته المختلفة، وفي التواصل الإداري في كثير من الإدارات في الوطن العربي، وفي الندوات والمؤتمرات...وهي بذلك لها مكانتها في البلدان العربية وإن لم تكن حية في الحديث. إذ يمكن القول إنّها تحتل المرتبة الأولى ضمن اللغات المتداولة، من حيث حضورها في هذه المجالات، فهي حاضرة في الكتابة والتأليف وهي لغة التعليم والتعلم في المؤسسات التعليمية باستثناء مؤسسات التعليم العالي في شُعَبِ الطب والهندسة والإعلاميات وعلوم الفيزياء والكيمياء والرياضيات وعلوم الحياة والأرض والاقتصاد.

وتجدر الإشارة إلى أنّ كثيرا من الباحثين العرب يضطرون للكتابة بغير العربية للنشر في مجلات عالمية مصنفة، نظرا لعدم وجود مجلات عربية مصنفة، ولو بذلت جهود في جعل العربية الفصيحة لغة النشر في المجلات العلمية المحكمة في الطب والهندسة والإعلاميات والفيزياء والكيمياء وعلوم الحياة والأرض والاقتصاد...لكان ذلك وسيلة لنشر العربية وتقويتها.

وكان لقنوات عربية كثيرة ناطقة بالعربية الفصيحة فضل كبير في إسماع العربية الفصيحة لجمهور عريض في العالم العربي خاصة، وهذا أمر لم يكن متاحا من قبل، فبفضل التطور التقني الهائل في مجال

([39]) أنور الجندي: الفصحى لغة القرآن، ص. 304.

([40]) عبد السلام لمسدي: الهوية العربية والأمن اللغوي، ص.262.

الاتصال أصبحت العربية الفصيحة مسموعة في كل بيت في العالم العربي إن لم نقل العالم كله؛ نظرا لتميز هذه القنوات في أخبارها وتقاريرها المصورة وبرامجها المتنوعة...دون أن ننسى أنه لا يكاد بلد في العالم لا يوجد فيه عربي، حيث يهاجر أبناء الوطن العربي إلى بلدان مختلفة في العالم للعمل والدراسة.

2.1.3. على المستوى العالمي

على المستوى العالمي، ذاع صيت كثير من القنوات الأجنبية الناطقة بالعربية الفصيحة، وهذا مظهر من مظاهر مكانة العربية في العالم، ولا يُهِمُ في هذا السياق الأسباب والغايات التي دعت الأجانب إلى إنشاء قنوات ناطقة بالعربية الفصيحة[41]، والمهم هو أن العربية أضحت مسموعة حيّة في العالم كله. ومن أمثلة هذه القنوات قناة الحرة الأمريكية (انطلقت 2004)، و"TRT العربية" التركية (2010)، وقناة روسيا اليوم (2007)، وقناة فرانس 24 (2006) قناة العالم الإيرانية (2003)، وبي بي سي عربية (انطلقت1994، ثم انقطعت 1999 وعادت 2008)، وقناة دويتشه فيله الألمانية (2005)، وقناة تي ري تي التركية (2010)، وقناة يورو نيوز الأوروبية (2008)، وقناة سي جي تي إن الصينية (2009)، وقناتي آي 24 نيوز(2013) ومكان (2017) الإسرائيليتان، وقناة إفريقيا (2010).

"ومن الغريب أنّ الفضائيات الأجنبية التي تبث من عواصم غربية وتوجَّه للعالم العربي تحترم اللغة العربية بشكل واضح، سواء في نشرات الأخبار أو في البرامج السياسية الحوارية، أو في المواد الثقافية والبرامج الوثائقية والتاريخية. ولا بأس أن نذكر من جملة تلك الفضائيات الغربية التي تخاطب المشاهد العربي، قناة (البي بي سي) العربية وقناة (فرانس24) العربية، والقناة التركية العربية، وقناة الحرة الأمريكية العربية، والقناة الروسية العربية، فهذه القنوات الفضائية يحرص القائمون عليها أشد الحرص على سلامة اللغة العربية لدى المذيعين والمذيعات، على نحو يكاد أن ينعدم لدى الفضائيات والقنوات الأرضية العربية إلا فيما ندر"[42].

فمهما كانت الدوافع والغايات فإن حضور العربية الفصيحة في هذه القنوات وغيرها دليل على مكانة العربية وأهلها في العالم، وهذه القنوات منتشرة في قارات العالم كلها، وهذا معناه أن العربية الفصيحة حية في العالم لها مكانتها ضمن اللغات الحية الأخرى ولو عبر القنوات الإذاعية والتلفزية.

2.3. احتلالُ العربيةِ رُتبَةً حسنةً في التصنيف العالمي للغات

تحتل العربية في التصنيف العالمي للغات من حيث نسبة التحدث بها، ومن حيث نسبة متكلميها، مراتب حسنة. وإن كانت الإحصائيات لا تميز في الغالب بين العربية الفصيحة والعاميات العربية، فإنه

([41]) ياسر عاشور (1مايو 2019)، " هل خدعتنا الدول الكبرى بلغة الضاد؟"، العربي الجديد، رابط المقال:
https://www.alaraby.co.uk/هل-خدعتنا-الدول-الكبرى-بلغة-الضاد

([42]) التويجري، عبد العزيز بن عثمان: حاضر اللغة العربية، ص. 17.

يمكن القول إن حضور العربية الفصيحة في الكتابة والتأليف والإعلام السمعي البصري يخول للعربية مكانة مهمة ضمن لغات العالم.

وكانت العربية ضمن لائحة العشر اللغات الأولى في تصنيف اللغات القوية حسب الجغرافيا والاقتصاد والتواصل والثقافة والإعلام والدبلوماسية، حيث احتلت العربية الرتبة الرابعة سنة 2015[43]. واحتلت الرتبة الخامسة عالميا في 2019[44] من حيث عدد الناطقين بـ315 مليون متكلم، بعد الصينية، والإسبانية ، والإنجليزية، والهندية.

3.3. حضور العربية في الأنترنت

لم تكن العربية مصنفة ضمن اللغات الست الأولى المستعملة في الشابكة سنة 2014[45]، ثم رتبت رابعةً عالميا، بعد الإنجليزية والصينية والإسبانية في عام 2020، حسب الجدول الآتي[46]:

أفضل عشر لغات مستخدمة في الشابكة - 31 مارس 2020
(عدد مستخدمي الإنترنت حسب اللغة)

اللغات العشر الأوائل المستعملة في الأنترنت	سكان العالم لهذه اللغة (تقدير 2020)	مستخدمو الأنترنت حسب اللغة	انتشار الأنترنت (% من السكان)	نمو مستخدمي الإنترنت(2020-2000)	نسبة مستخدمي الأنترنت من العالم (المشاركون)
الإنجليزية	1,531,179,460	**1,186,451,052**	77.5 %	742.9 %	25.9 %
الصينية	**1,477,137,209**	**888,453,068**	60.1 %	2,650.4 %	19.4 %
الإسبانية	516,655,099	**363,684,593**	70.4 %	1,511.0 %	7.9 %
العربية	447,572,891	**237,418,349**	53.0 %	9,348.0 %	5.2 %
البرتغالية	290,939,425	**171,750,818**	59.0 %	2,167.0 %	3.7 %
الأندونيسية /الماليزية	**306,327,093**	**198,029,815**	64.6 %	3,356.0 %	4.3 %

(43) Power Language Index (May 2016), Kai L. Chan, PhD. P 3.
(44) James Lane, The 10 Most Spoken Languages In The World (September 6, 2019), Babbel Magazine.
(45) Madelyn Flammia, Carol Saunders, Language as Power on the Internet, JOURNAL OF THE AMERICAN SOCIETY FOR INFORMATION SCIENCE AND TECHNOLOGY, 58(12):1899–1903, 2007, p 1900.
(46) Internet World Stats , Usage and Population Statistics : https://www.internetworldstats.com/stats7.htm

الفرنسية	431,503,032	**151,733,611**	35.2 %	1,164.6 %	3.3 %
اليابانية	126,476,461	**118,626,672**	93.8 %	152.0 %	2.6 %
الروسية	145,934,462	**116,353,942**	79.7 %	3,653.4 %	2.5 %
الألمانية	98,654,451	**92,525,427**	93.8 %	236.2 %	2.0 %
أفضل 10 لغات	5,273,725,132	**3,525,027,347**	66.8 %	1,188.2 %	76.9 %
بقية اللغات	2,522,890,578	**1,060,551,371**	42.0 %	1,114.1 %	23.1 %
إجمالي العالم	7,796,615,710	**4,585,578,718**	58.8 %	1,170.3 %	100.0 %

4.3. العربية في المرتبة الثانية في اللغات المهمة لمستقبل المملكة المتحدة

أتت العربية في المرتبة الثانية بعد الإسبانية في لائحة اللغات الحية التي تحتاجها المملكة المتحدة في المستقبل، في التعليم والثقافة والدبلوماسية [47]، واحتلت العربية المرتبة الثانية ضمن الأهم عشر لغات في المستقبل بالنسبة إلى المملكة المتحدة[48] دليل على مكانة اللغة العربية ضمن لغات العالم.

5.3. حضورها ضمن لغات الأمم المتحدة والمؤسسات الدولية

اللغة العربية لغةً رسمية في منظمة الأمم المتحدة، وهي لغة مقررة في منظمات عالمية أخرى، مثل اليونسكو والفاو (منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة)، ومنظمة الصحة العالمية، ومنظمة العمل الدولية، وهي لغة رسمية في منظمة الاتحاد الأفريقي حاليا[49].

وللغة العربية يوم عالمي، وهو موعد للتعريف بالعربية وتدارس قضاياه، وقد انطلق الاحتفال بها عالميا عام 2010، حيث "تحتفل الأمم المتحدة والمنظمات الدولية الأخرى والدول العربية وسائر المتحدثين بالضاد بيوم اللغة العربية الذي يوافق 18 ديسمبر من كل عام. وقد اختارت إدارة شؤون الإعلام بالأمانة العامة للأمم المتحدة في نيويورك بالتشاور مع اليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة)، هذا اليوم بالتحديد لأنه اليوم الذي اتخذت فيه الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الثامنة والعشرين المعقودة في عام 1973 قرارها التاريخي بأن تكون اللغة العربية لغة رسمية سادسة في الجمعية العامة والهيئات الفرعية التابعة لها بحيث يكون لها نفس وضع اللغات الرسمية الخمس الأخرى: الإنجليزية

---

[47] British Council, Languages for the Future, Which languages the UK needs most and why, This report was commissioned by the British Council and prepared by Teresa Tinsley and Kathryn Board of Alcantara Communications, p 14

[48] British Council, Ibid p 16

[49] عبد الستار محفوظ، جريدة الأهرام، مصر، الثلاثاء 28 من ربيع الأول 1438 هـ 27 ديسمبر 2016 السنة 141، العدد 47503.

والفرنسية والإسبانية والروسية والصينية. وقد ذكرت الجمعية العامة في حيثيات القرار المتقدم أنها اتخذته إدراكا منها لما للغة العربية من دور في حفظ ونشر حضارة الإنسان وثقافته وأنها لغة تسعة عشر عضوا من أعضاء الأمم المتحدة (في ذلك الوقت)"[50].

6.3. العربية حاضرة في العلوم والتقنية

فالعربية ليس لغة الأدب والتاريخ والدين فقط، بل هي لغة العلوم والتقنية، بحيث تتسع لحمل كل ما يستجد في كل مجال، بشرط أن تتوفر الرغبة عند أهلها، فقد استطاع السوريون أن يدرسوا علوم الطب والهندسة والإعلاميات والرياضيات..بالعربية الفصيحة، فـ"هل تعلم أنّ الجامعات السورية تدرس الطب والهندسة والصيدلة وجميع العلوم باللغة العربية، وذلك منذ تأسيسها، أي منذ ما يقرب قرنا من الزمان، وأنّ أساتذتها بالتعاون مع المجمع اللغوي في دمشق كانوا ولا يزالون يقومون وعلى مدى هذا القرن المديد بتعريب المصطلحات العلمية لكل الكليات، وأصبحت الكتب الجامعية السورية بمثابة كنز يحتوي على ما لذّ وطاب من المصطلحات العلمية، وأثبتت تلك الجامعات قدرة لغتنا الفائقة على استيعاب العلوم"[51]. وأصدر الدكتور محمد البقالي رحمه موسوعة بالعربية من خمسة مجلدات في الفيزياء، سماه" أسس الفيزياء المعاصرة".

7.3. العربية أم اللغات

يذهب علم اللغة الكوني أن العربية أم اللغات جميعا، فهي الأصل وباقي لغات العالم فرع منها، فهي "اللغة الأم التي انبثقت عنها كل لغات الكون، وأنها اللغة الباقية، لذا أطلقوا على قسم اللغة العربية بجامعة لندن(قسم اللغة الأم)، وأخبروا الجامعات بذلك، فبدأ عدد لا بأس به من الجامعات كتابة علومهم و مواثيقهم المهمة باللغة العربية إلى جانب لغتهم الرسمية، وآخر جامعة شرعت في ذلك جامعة طوكيو"[52]. وهذا الرأي تعززه أبحاث علم الوراثة الحديثة، فقد كتبت مجلة فرنسية مقالا تلخص فيه ما توصل إليه الباحثون في علم الوراثة، وعنوان المقال دال على المضمون، وهو " نحن كلنا عرب"[53] ويقصد ب"نحن" كل الناس على وجه الأرض، وليس المقصود الفرنسيين فقط، وإذا كان العرب أصل البشر على الأرض، فهذا معناه أن لغة العرب أم اللغات كما يذهب إلى ذلك علم اللغة الكوني. وتوقعت اللسانية الفرنسية كوليت

([50]) عبد الستار محفوظ، المرجع السابق.

([51]) فداء ياسر الجندي، لغتنا العربية... لغة العلوم والتقنية (3)، مقال منشور على الشابكة رابطه:
/http://www.aljazeera.net/news/scienceandtechnology/2013/6/30

([52]) الكحلوط، يوسف، علم اللغة الكوني، مجلة مدارات، ديسمبر 2011، عدد 5، ص.35.

[53] Frédéric Lewino (27/01/2012), nous sommes tous des Arabes !, (https://www.lepoint.fr/sciences-nature/histoire-de-l-homme-nous-sommes-tous-des-arabes-27-01-2012-1424481_1924.php)

جرينفالد Colette Grinevald أن تكون العربية من اللغات الباقية في الألفية القادمة 2100، حيث ذكرتها -في حوار صحافي في مجلة العالم الفرنسية (Le Monde)- ثالثة بعد الإنجليزية والإسبانية&[54].

8.3. العربية لغة المستقبل

تبين من خلال ما سبق أن للعربية عناصر قوة كثيرة، وأنها لغة حية في الحاضر حضورا في مجلات متنوعة وإن لم تكن لغة الحديث اليومي، وهي حاضرة في الأوطان العربية وفي العالم كله، ولذلك فللعربية مكانة مهمة ضمن لغات العالم الحية، وهذه كلها دلائل وعلامات على أن العربية الفصيحة ليس لغة الحاضر فقط، بل إنها لغة المستقبل، لأنها "اللغة الأم التي انبثقت عنها كل لغات الكون، وأنها اللغة الباقية، لذا أطلقوا على قسم اللغة العربية بجامعة لندن(قسم اللغة الأم)، وأخبروا الجامعات بذلك، فبدأ عدد لا بأس به من الجامعات كتابة علومهم و مواثيقهم المهمة باللغة العربية إلى جانب لغتهم الرسمية، وآخر جامعة شرعت في ذلك جامعة طوكيو"[55].

"ولم تقتصر الإشادة بمستقبل العربية على أبناء العربية وحدهم، وإنما أقرّ بذلك المستقبل لها عدد من المستشرقين الأجانب، فها هو ذا المستشرق الأمريكي رتشرد كوتهيل الأستاذ في جامعة كولمبيا يقول: "كان للعربية ماض مجيد، وفي مذهبي أنه سيكون لها مستقبل باهر"، ويعلل ذلك قائلا: " إنّ شعباً له آداب غنية متنوعة كالآداب العربية، ولغة لينة مرنة ذات مادة تكاد لا تفنى، لا يخون ماضيه، ولا ينبذ إرثاً، اتصل إليه بعد قرون طويلة عن آبائه وأجداده"[56].

إن العربية باقية، فهي لغة المستقبل لأنها حاملة لإرث حضاري إنساني ولأنها لغة آخر رسالة سماوية عالمية، فـ" في كل اللغات الراقية لهجات عامية مختلفة، ولكن اللغة الفصحى لغة المعلمين والمتعلمين، وهي لغة المدارس والجرائد والكتب، وإذا بقي الإسلام وسيبقى، فلغة القرآن الكريم والحديث النبوي وسائر الآداب العربية منذ عهد الرسول إلى اليوم أقوى من سائر اللغات الأوربية على هضم اللهجات العامية المختلفة. ولذلك فستبقى هذه اللغة الشريفة كما كانت لغة العلم والمتعلمين والأدباء والمتأدبين، ولغة الصحافة والمؤلفين إلى ما شاء "[57].

"إن المستقبل يؤكد صلاحية اللغة العربية لأن تكون لغة عالمية بعد أن تكون اللغة الأولى للعالم الإسلامي نفسه، ويرجع ذلك إلى أسباب عديدة تميز اللغة العربية وتجعلها أهلا لهذا المكان الفريد"[58]

---

[54] Laure Belot et Hervé Morin, En 2100, les Terriens parleront 3 000 langues de moins,(31 décembre 2005), https://www.lemonde.fr/planete/article/2005/12/31/en-2100-les-terriens-parleront-3-000-langues-de-moins_726074_3244.html

[55] الكحلوط، يوسف: علم اللغة الكوني، مجلة مدارات، ديسمبر 2011، عدد 5، ص.35.

[56] محمود السيد: مستقبل اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد 87، ج.1، 2012، ص.9.

[57] محمود السيد، المرجع نفسه، ص.8-9.

[58] أنور الجندي: الفصحى لغة القرآن، ص. 284-285.

خاتمة

يمكن القول إن العربية الفصيحة حيّة وإن لم تكن لغة الحديث اليومي، ذلك بأن لها حضورا في مجالات أخرى في حياتنا اليوم، فإن لم تكن لغة التواصل الشفوي اليومي فإنها لغة الكتابة في مجالات الفكر والعلوم والآداب، وهي لغة حية في التعليم والمؤسسات الثقافية وفي الإعلام في البلدان العربية وفي كثير من بلدان العالم، وعلى هذا فالتداول الشفوي اليومي لا يكفي للحكم على لغة ما بالحياة أو الموت، إذ هناك معايير أخرى ينبغي استحضارها لتقويم وضعية اللغات.

ومن نتائج البحث أن للغة العربية عناصر قوة كثيرة تؤهلها لأن تحتل مكانة مهمة ضمن اللغات الحية في العالم، فالعربية الفصحى قوتها في كونها لغة آخر رسالة عالمية، وفي كونها لغة إرث حضاري إنساني قل نظيره، وفي كونها لغة مرنة متطورة لما تتميز به من تعدد وسائل توليد الألفاظ، وهي إلى ذلك لغة وحدة وتوحيد بالنسبة للوطن العربي، وهي لغة لجغرافيتها ولأهلها مكانة استراتيجية واقتصادية مؤثرة في العالم...

فالعربية الفصيحة إذن لغة قوية في ذاتها مؤهلة لأن تكون لغة عالمية، ودليل ذلك أنها تحتل مراتب مهمة في التصنيف العالمي للغات، ولكن احتلالها لهذه المراتب مبني على معيار الكم في الغالب، أما من حيث مكانتها في مجال علوم الطب والهندسة والإعلاميات والفيزياء والكيمياء والصناعات فهي متأخرة

كثيرا، بل إنّ أهلها متأخرون في هذه المجالات، مع العلم أن كثيرا من الباحثين العرب لهم إسهامات شتى في هذه المجالات، لكنهم يكتبون أبحاثهم وينشرونها بغير العربية.

وخلاصة القول إن العربية الفصيحة قادرة ومؤهلة لأن تحيا في كل المجالات لو كان لأهلها أفرادا وجماعات ومؤسسات حكومية وغير حكومية الرغبة في الاهتمام بها والإنفاق على مشاريع النهوض بها داخل البلدان العربية وخارجها.

مصادر ومراجع بالعربية

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ت. ناصر بن عبد الكريم العقل، د.ط، مكتبة الرشاد الرياض، د.ت.

إحصاءات غربية: انتشار الإسلام في أوروبا وأمريكا رغم حملات التشويه: مجلة الوعي، السنة الثالثة والعشرون، العددان 270-271 ، 2009، ص. 111-112.

بلكا، إلياس و حراز، محمد: إشكالية الهوية والتعدد اللغوي في المغرب العربي، ط.1، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 2014.

التويجري، عبد العزيز بن عثمان: حاضر اللغة العربية، د.ط، مطبعة الإسيسكو الرباط، المملكة المغربية، 2013.

التويجري، عبد العزيز بن عثمان: مستقبل اللغة العربية، د.ط، مطبعة الإسيسكو الرباط، المملكة المغربية، 2004.

الجابري، محمد عابد: مسألة الهوية العروبة والإسلام ...والغرب. ط.4، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2012.

الجندي، أنور: الفصحى لغة القرآن، د.ط، دار الكتاب اللبناني، 1982.

الجندي، فداء ياسر: "لغتنا العربية... لغة العلوم والتقنية (3)"، مقال منشور على الشابكة رابطه:
https://www.aljazeera.net/news/scienceandtechnology/2013/6/30/لغتنا-العربية-لغة-العلوم-والتقنية-3

حاجي، خليفة، مصطفى بن عبد الله: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تصحيح وتعليق محمد شرف الدين، د.ط، دار إحياء التراث العربي. بيروت، د.ت.

حسين، طه ، مستقبل الثقافة في مصر، ط2، دار المعارف، مصر، د. تاريخ.

حليلي، عبد العزيز: اللسانيات العامة واللسانيات العربية، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب.

الدوري، عبد العزيز: أوراق في التاريخ والحضارة، أوراق في التأريخ العربي الإسلامي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009.

الدويدري، رجاء وحيد: المصطلح العلمي في اللغة العربية: عمقه التراثي وبعده المعاصر، ط1، دار الفكر العربي،2013 .

سزكين، فؤاد: تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي، د.ط، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1991.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، ت. عبد السلام محمد هارون، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1982.

السيد، محمود: "مستقبل اللغة العربية"، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد 87، ج.1، 2012.

الشاطبي: الموافقات، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن، ط، دار ابن عفان، 1997.

صبحي، الصالح: دراسات في فقه اللغة، ط3، ، دار العلم للملايين، 2009.

عطار، أحمد عبد الغفور : مقدمة الصّحاح، ط.2، دار العلم للملايين، بيروت، 1979.

علاونه، جهاد: اللغة الميتة، جريدة الحوار المتمدن، العدد: 3060 ، 2010.07.11.

فتاوي كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية، نهضة الشرق العربي وموقفه إزاء المدنية الغربية، كتاب الدوحة 30، نشر مع مجلة الدوحة عدد 74، دجنبر 2013.

كوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، د. ط، مؤسسة هنداوي للثقافة والتعليم، القاهرة، 2012.

لمسدي، عبد السلام: الهوية العربية والأمن اللغوي، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2014.

محفوظ، عبد الستار: "اللغة العربية فى الأمم المتحدة"، جريدة الأهرام، مصر، الثلاثاء 28 من ربيع الأول 1438 هـ 27 ديسمبر 2016، السنة 141، العدد 47503.

محمد حسن عبد العزيز: التعريب في القديم والحديث، د.ط ، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.

منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، فريق خبراء اليونسكو المعني الخاص باللغات المهددة بالاندثار: حيوية اللغات وتعرّضها لخطر الاندثار.

الودغيري، عبد العلي: اللغة والدين والهوية، د. ط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2000.

ياسر، عاشور (1مايو 2019)، " هل خدعتنا الدول الكبرى بلغة الضاد؟"، العربي الجديد، رابط المقال: https://www.alaraby.co.uk?هل-خدعتنا-الدول-الكبرى-بلغة-الضاد/amp

الكحلوط، يوسف: " علم اللغة الكوني"، مجلة مدارات، ديسمبر 2011، عدد 5.

مراجع أجنبية:

Baba Zanna Isa, HajjaKaru Ahmed and YaganaGrema: "Language Death and Endangered Languages ", IOSR Journal Of Humanities And Social Science (IOSR-JHSS) (Oct. 2014), Volume 19, Issue 10.

British Council, Languages for the Future, Which languages the UK needs most and why, (This report was commissioned by the British Council and prepared by Teresa Tinsley and Kathryn Board of Alcantara Communications).

DAVID CRYSTAL (2000): Language death, CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS.

Frédéric Lewino, (27/01/2012), nous sommes tous des Arabes!, Le Point : *https://www..fr/sciences-nature/histoire-de-l-homme-nous-sommes-tous-des-arabes-27-01-2012-1424481_1924.php)*

Internet World Stats , Usage and Population Statistics : *https://www.internetworldstats.com/stats7.htm*

James Lane (September 6, 2019), The 10 Most Spoken Languages In The World, Babbel Magazine: *https://www.babbel.com/en/magazine/the-10-most-spoken-languages-in-the-world*

Kai L. Chan (May 2016), Power Language Index, PhD.

Language Vitality and Endangerment, UNESCO Ad Hoc Expert Group on Endangered Languages (March 2003), Paris.

Laure Belot et Hervé Morin (31 décembre 2005) : "En 2100, les Terriens parleront 3 000 langues de moins" *https://www.lemonde.fr/planete/article/2005/12/31/en-2100-les-terriens-parleront-3-000-langues-de-moins_726074_3244.html*

Madelyn Flammia, Carol Saunders (2007), "Language as Power on the Internet", JOURNAL OF THE AMERICAN SOCIETY FOR INFORMATION SCIENCE AND TECHNOLOGY, 58(12): p 1900.

Power Language Index (May 2016), Kai L. Chan, PhD